القضايا الكبرى في الإسلام

١١ – قضية المؤامرة على المهاجرين

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى غزوة بني المصطلق سنة ست من الهجرة ، فلقيهم على ماء لهم يقال له المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل ، وحاربهم حتى هزمهم وقتل من قتل منهم ، وبينما هو على ذلك الماء وردت واردة الناس ، ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار ، يقال له جهجاه ابن مسعود يقود فرسه ، فازدحم جهجاه ، وسنان بن وبر الجهني حليف بني عوف ابن الخزرج على الماء ، فاقتتلا ، فصرخ الجهني يا معشر الأنصار ، وصرخ جهجاه يا معشر المهاجرين . فسمع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما بال دعوى الجاهلية ؟ قالوا : يا رسول الله ، كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار . فقال : دعوها فإنها منتنة

وقد وقف الخصام بين الرجلين عند هذا الحد ، ولكن عبد الله بن أبيّ بن سلول أراد أن يتذرع بذلك إلى إحداث فتنة بين الجيش ، وتأليب الأنصار على المهاجرين بعد أن ألف الإسلام بينهم ، وجعل منهم أمة واحدة لا أثر فيها لعصبية من عصبيات القبائل العربية ، فجمع عبد الله رهطاً من قومه ، وكان فيهم غلام حدث يقال له زيد بن أرقم ، فقال لهم : أوَقد فعلوها ؟ قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا ، والله ما أعدُّنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال الأول : سمّن كلبك يأكلك . أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . ثم أقبل على من حضره من قومه فقال لهم : هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم

فذهب زيد بن أرقم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بهذه المؤامرة ، فقال له : لعلك أخطأ سمعك ، لعلك شبه عليك . فأصر على شهادته ولم يرجع عنها ، وما أظن إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرض له بالرجوع عن شهادته ، حتى لا يمضي في تحقيق هذه القضية الشائكة ، لما كان لعبد الله من المنزلة بين قومه ، وقد كان الإغضاء عنه وعن غيره من المنافقين مما يقضي به حسن السياسة في أول الإسلام ، لأنه كان ضعيفاً لا يحتمل الفتن ، فكان من حسن السياسة أن يسالم أولئك المنافقين الذين يسالمونه في الظاهر ، وأن يتحمل مثل ذلك منهم ، إرضاء لمن حسن إسلامه من قومهم ، واحتقاراً لأمر أولئك المنافقين ، لأنهم كانوا يقولون ما لا يفعلون ، وقد قال عمر للنبي صلى الله عليه وسلم حين سمع ذلك من زيد بن أرقم : دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه

ثم أرسل إلى عبد الله وأصحابه ليسألهم عن تلك المؤامرة التي أخبره بها زيد بن أرقم ، لأنه لم يجد بعد إصراره على شهادته إلا أن يمضي في تحقيق ما نسبه إليهم ، حتى تأخذ قضيته حظها من التحقيق ، ولا يهمل أمرها ، فيطمعهم ذلك في المضي في مؤامراتهم

فلما حضروا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أخذهم ضعف النفاق ، فأنكروا ما نسبه إليهم زيد بن أرقم ، وحلفوا ما قالوا شيئاً مما نسبه إليهم ، فصدقهم النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعلم حقيقة أمرهم ، وكذب زيد بن أرقم وهو يعلم صدقه وإخلاصه ، ولكن المصلحة العامة قضت بأن يكتفي منهم بذلك ، فأهملت قضيتهم خوفاً من إحداث الفرقة بين المسلمين . وما كان للنبي أن يؤثر أمراً من الأمور على أمر الوحدة بينهم ، وقد كان عبد الله في قومه شريفاً عظيماً ، فلما حلف بالله ما قال شيئاً مما نسبه إليه زيد بن أرقم ، قال من كان بالمجلس من الأنصار : يا رسول الله ، عسى أن يكون الغلام قد أوهم في حديثه ، ولم يحفظ ما قال الرجل . فأظهروا بذلك حدباً على عبد الله ، وعطفاً عليه ودفعاً عنه ، وإهمال هذه القضية بهذا الشكل هو ما يسمى حفظ القضية في القضاء الحديث .

ثم بادر النبي صلى الله عليه وسلم فأذَّن بالرحيل في ساعة لم يكن يرتحل فيها ، فلما ارتحل لقيه أسيد بن حضير فحياه